

الموسيقار العربي العالمي «نصير شمة»:

الحلم سيبقى حلماً ما لم تلامسه الأصابع

حفلاته في عاصمة الثقافة «أبوظبي»، وكان لها هذا الحوار مع هذا الموسيقار المبدع:

● كيف نشأت لديك فكرة إنشاء بيت لتدريس آلة موسيقية واحدة؟

– بدأ حلمي منذ كنت صغيراً في مدارس الموسيقى بالعراق، حين كنت أحلم بأكاديمية للعود تدرسه صناعة وعزفاً ومنهجية، وكبرت وكبر معي حلمي إلى أن بدأت في تحقيقه حين انطلق بيت العود في القاهرة في أكتوبر 1998 عبر دار الأوبرا المصرية بتين من الدكتورة «رتيبة الحفني»، ثم جاءت فروع أخرى لبيت العود في الجزائر، وأسبانيا، والسودان ومدينة «أبوظبي» في دولة الإمارات.

إن فكرة إنشاء بيت لتدريس العزف على آلة واحدة هي الأولى من نوعها في العالم، وليس

لقد استطاع الفنان نصير شمة أن يحفر اسمه في تاريخ الموسيقى الشرقية، فهو الذي قدم لها عود الفارابي المثمن، وهو أول من أسس بيت لتعليم آلة العود، تلك الآلة الوترية التي اعتبرت من أهم الآلات الموسيقية الشرقية، وهو مؤسس أول أوركسترا شرقي عالمي أعاد من خلاله آلات موسيقية شرقية كادت أن تندثر، وكانت حكرًا على فئة معينة فقدما لجمهوره الذي رآها لأول مرة، وطاف بها أرجاء المعمورة ليعرّف العالم على «روح الشرق»، وما زال أمامه الكثير ليقدمه لجمهوره ولفنه الذي كرّس حياته لخدمته.

يقول عنه الناقد والكاتب «منير عامر»:

«نصير شمة رجل جاد، طالع من جرح العراق، فبدأ كوردة مليئة بالزلم، ولكن لها عطر فنان، لقد أثبت أن العزف ليس آلات ولا مهارة ولكنه قلب».

أقول عنه: إنه واحد من المطورين العظام للموسيقى العربية من حالة الترهل والترفيه عن أناس غائبين عن الوعي إلى حالة الأوركسترا التي توضح معالم الطريق إلى قلب أي إنسان وعقله».

التقينا الفنان «نصير شمة» بعد إحدى

«أريد أن أرى الناس مع الموسيقى ولا يكتفون بسماعه.. أريدهم أن يعيشوا معي لحظة بلحظة، يعيشون لحظتي ولحظتهم في آن واحد، يرتفعون عندما ارتفع وينخفضون عندما أنخفض، يدمعون ويسبحون.. أريد أن يأخذ مستمعي مني أقصى حالاته». هذا ما أراده «نصير شمة» لجمهوره حين يستمع إليه، وقد عبّر عن ذلك ببلاغة وصدق متناهيين، وكان له ما أراد. فعندما يعتلي «شمة» خشبة المسرح محتضناً عوده، ويبدأ في العزف يستطيع أن يتوحد مع كل من حوله: مع جمهوره الذي يتنقل به من حالة وجدانية لأخرى، ومع أعضاء فرقته ومع عوده.

يتنقل شمة بجمهوره بين المقامات الشرقية الأصيلة، فتأتي تقاسيم عوده سريعة حيناً وهادئة حيناً آخر.. حزينة تارة ومتفائلة تارة أخرى، فينتقل بالجمهور بحرفية وخبرة إلى عالم أفضل.. ينفصل به عن المكان والزمان، ويلحق معه بأجنحة الموسيقى وبإحساسه العالي إلى عالم يستطيع فيه الجمهور أن يرى موسيقى، ويلامسها بسمعه ويعايشها؛ فهو الذي طالما قدم موسيقى الصورة في كل أعماله الموسيقية التي حصد عليها الكثير من الجوائز ونال عنها العديد من التكريمات.





في الوطن العربي وحده، وبسبب النجاح الذي لاقته تلك الفكرة أضفتت تدريس آلات شرقية أخرى كالناي والقانون.

● ماذا عن العود المثلث الذي صنّعه؟

– هذا العود وضع أسسه العالم الكبير الفارابي منذ 1000 عام وكتب مخطوطة شرح فيها أهمية وجود ثمانية أوتار للعود، وذكر فيها بالتفصيل كل وتر واسمه والإصبع الذي استخدمه في العزف عليه.

وجدت هذا المخطوط في مكتبة شتيستر بتي في إيرلندا، وقد أرشدني إليه باحث ألماني مهتم بعلوم الموسيقى.. ولأن أحداً لم يفكر في صناعة ذلك العود من قبل، قمت أنا بصناعته مستعيناً بأمهر صنّاع آلة العود العراقيين؛ لأنه يحتوي على أربع مساحات صوتية تتيح للعازف مساحة كبيرة لتلوين الأداء وتنويعه، فيما يحتوي العود العادي على مساحتين فقط، وأنا أستخدمه في بعض القطع الموسيقية التي تحتاج إلى تكتيك عال.. والعزف عليه أصعب من العزف على العود العادي كثيراً.

● لماذا تعزف مستخدماً يداً واحدة؟

– في أثناء حرب العراق مع الجارة إيران فقد صديق لي أحد ذراعيه، وكان يتعلم العزف على آلة العود، وعندما رأته هزنتني صورته، وقال لي إنه لم يعد في وسعه العزف على العود.. فعكفت علي تدريب نفسي على العزف بيد واحدة متناسياً يدي الأخرى، إلى أن ألفت

أول مقطوعة موسيقية «قصة حب شرقية» لتعزف على يد واحدة وأهديت ذلك له ولكل مبتوري اليد، وفيما بعد أصبح عندنا كثيرون من مبتوري اليد يتعلمون العزف على آلة العود بيد واحدة.

«الحلم لا يستطيع الانتظار طويلاً، وقد علمتني الأيام أن الحلم سيظل حلماً ما لم تلامسه الأصابع».



هكذا يرى شمة الاحلام، لذلك هو يشتغل على أحلامه لتحقيقها، وكان آخرها تلك الأحلام التي حققتها أوركسترا الشرق.

وعن ذلك يقول لـ «أسرتي»: أوركسترا الشرق حلم اشتغلت به لمدة عشر سنوات توجّ بالحفل الذي قدمناه في «مهرجان أبوظبي الخامس للموسيقى والفنون».. وهذه هي المرة الأولى على مستوى العالم التي تقدم فيها أوركسترا شرقية تتكون من ستين عازفاً وعازفة من أكثر من عشرين دولة على مستوى العالم يأتون من بقاع مختلفة من الشرق من العراق وسورية والإمارات ولبنان ومصر والسودان والصين وتركيا واليونان

وإيران وبلجيكا.

اجتمعوا جميعاً ليقدموا موسيقى نابغة من القدود والمقامات والمولوية والآلات الموسيقية التي تمتد على خارطة الشرق، تلك الآلات التي كانت حكرًا على فئة معينة فأردنا تعميمها كالسنطور أو الليرا والجوزة والساز والطمبور وآلات إيقاعية مختلفة.

هذا العمل الجماعي ما كان لينجح دون دعم ورعاية «مهرجان أبوظبي للموسيقى والفنون».

ما زال أمام «شمة» مشروعان لهذه السنة، يقول عنهما: مشروعني لهذه السنة هو تقديم المقام العراقي بطريقة فيها حفاظ على هذا الإرث الذي يمتد لأكثر من 1400 سنة.

ومشروعني الآخر هو الاهتمام بثقافتنا الموسيقية، ثقافة الشرق

كله بالمطلق، فبسبب الظروف السياسية التي عاشها الشرق ظلمت فنونه وظلم تراثه، ودخل في منطقة ضياع كبيرة.. ولا بد من العمل على إعلاء شأن هذا التراث، فنحن نحترم المواطن الألماني؛ لأنه قدم للموسيقى «باخ» و«بتهوفن».. والإرث العالمي كله إرث موسيقي، أما نحن فإرثنا الثقافي الموسيقي هو غنائي وليس عندنا موسيقى حقيقية، فعلى حسب معلوماتي والدراسات أنه لم يتم إضافة لسلم موسيقي جديد في الموسيقى العربية.. وهذا يعكس قصوراً فنياً.. التوقف عن الإبداع يعني الموت، ولا بد من البحث عن مناطق جديدة تلعب فيها الروح.